جهاد الصوفية
في جنوب السودان

للأستاذ امام عثمان

مدرس بمعهد البعوث

ومبعوث الأزهر الى جنوب السودان سابقاً

لعله من المستحسن أن أعطيك فكرة سريعة عن سكان هذه المنطقة قبل أن أحدثك عن أثر الطائفة الصوفية المجاهدة . سكان هذه المنطقة مزيج بسطاء عراة الأجساد يحيون حياة بدائية يسكن معظمهم الأحراش والغابات ويأكلون الأعشاب ولحوم جميع الحيوانات . وليس لهم عقيدة يتعصبون لها ولا دين يتحاكمون اليه في معاملاتهم ومنازعاتهم . بل لهم تقاليد موروثة وعادات متبعة يتحاكمون اليها فهم اذن فطريون . كسالى لا يحبون العمل ويكرهون من يحثهم عليه . وهم مع ذلك يسكنون أرضا خصبة صالحة للانتاج وبها كثير من المعادن والمواد الخام . وهم كذلك سهل الانقياد سريع التأثر عرف الأوربيون المستعمرون فيهم ذلك منذ اكتشاف المنابع العليا للنيل الأبيض، فصمموا على غزوهم واستغلال ثرواتهم ولكن ليس بالحديد والنار ، بل باسم الانسانية والحضارة والمدنية ، فوجهوا اليهم أفواجا من المبشرين مزودين بأوفر الأموال وبأوسع سلطان ، فأخذوا يشيدون الكنائس ويبنون المدارس ، فلم يستجب لهم في مدى ثلاثمائة سنة الا نفر قليل أكثرهم مكرهون . فلما قامت الحكومة المركزية في السودان

على يد مصر كان من الطبيعي أن ترسل بعض الجنود لتعسكر على الحدود ، وهنا تظهر قوة الاسلام الروحية . كما يتجلى أيضا الأثر الظاهر للسادة الصوفية كان الجنود بطبيعة الحال من المصريين والسودانيين مسلمين وكان منهم من ينتمي الى بعض طرق السادة الصوفية كالرفاعية والادريسية والقادرية والسمانية وكان هؤلاء السادة يقومون باحيائه ليال دينية مختلفة بقراءة المولد النبوي الشريف والقصائد الدينية والمدائح النبوية واقامة حلقات الذكر الشرعي حسب ماهو متبع عند رجال كل طريقة ، فكان هؤلاء الجنوبيون ينجذبون لمجرد رؤية وسماع ما يجري في هذه الحلقات ، بل كان منهم من يندفع الى داخل هذه الحلقات ويقلدهم في حركاتهم وما أن تختم هذه الجلسة الروحية حتى يتزاحموا على الشيخ طالبين اليه أن يلقنهم كلمة الاسلام ليتسنى لهم المشاركة الدائمة في حضور هذه الحلقات بانتظام فيلبي الشيخ طلباتهم وبعد تلقينهم الشهادتين يأخذ كل فرد مجموعة من هؤلاء الى مساكنهم ويعلمونهم مبادىء الاسلام الحنيف ويقومون باطعامهم وكسوتهم من أموالهم الخاصة ابتغاء وجه الله وعلى يد هؤلاء ظهر الاسلام في الجنوب وانتشر واستقر ، فضج المبشرون وجأروا بالشكوى الى من بيدهم الأمر وكانوا من الانجليز فأمروهم بالكف عن احياء هذه الليالي فلم يستجيبوا لهم فاضطهدوهم وثقلوهم بيدا عن الجنوب . ولكن الاسلام كان قد تمكن من نفوس الكثير من الجنوبيين أنفسهم . فكانوا يقومون باحياء هذه الليالي وحدهم ويفد عليهم اخوانهم ويتعلمون الاسلام منهم ويأخذون الطريق عنهم حتى بلغ من أسلم من الجنوبيين في عام واحد أكثر بكثير ممن اعتنق المسيحية على يد المبشرين أصحاب المال الوفير والجاه العريض . وأخذ المبشرون والحاكمون من الانجليز في جنوب السودان يفكرون في حيلة لوقف هذا الاندفاع الذي أوشك أن يعم ربوع الجنوب كله . حتى كانت فتنة مقتل سردار الجيش المصري (السير سر لي ستاك) فطردوا الجيش المصري من السودان كله سنة

١٩٢٤ وأعلنوا الجنوب منطقة مقفولة . وهنا بدأوا يفتنون المسلمين فى دينهم فطردوا الجنوبيين المسلمين من وظائفهم وأعمالهم ولم يفت شيء من ذلك فى عضدهم فعمدوا الى اغرائهم بالمال ان هم اعتنقوا المسيحية وتركوا الاسلام وهيهات أن يترك امرء دينه نظير عرض زائل من حطام الدنيا . فلم يسع الانجليز الذين يأتمرون بأوامر المبشرين ألا أن أصدروا أوامر مشددة صريحة بمنع احياء هذه الليالى منعا باتا ومحاكمة كل من يخالف هذه التعليمات ولكن ما كان من السادة الصوفية أن يتركوا أورادهم خوفا من التهديد أو الوعيد بل استمروا فى طريقهم ولكن سرا فى خفاء فكانوا كثيرا ما يداهمونهم أثناء اجتماعاتهم ويسوقونهم للمحاكمة ويسلطون عليهم أنواع العذاب ولكن دون جدوى وأخيرا ركبوا رؤوسهم ولجأوا الى عمل وحشى رهيب اذ قاموا باجلاء جميع المسلمين فى جنوب السودان دون زاد أو راحلة فاستشهد كثير منهم فى الطريق بعد أن أحرقوا منازلهم وخربوا مساجدهم

(يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)

(يتبع)

اسلم عثمان

* * *